تربية

ميرنا الشدياق

أطفال لبنان تحت تأثير الأزمات المتتالية شركاء في تحمّل الأعباء والتبعات

اثرت الازمة الاقتصادية في لبنان بشكل كبير على الاطفال، ففي وقت يحصل فيه بعضهم على حقوقهم الاساسية اضافة الى الكماليات، يحرم البعض الاخر منهم حتى من حقوقهم الاساسية كالتعليم والصحة والغذاء، وكذلك من حقهم في اللعب، وهو حق اساسي بالنسبة اليهم وحاجة ضرورية لنموهم بطريقة سليمة

تمتع اطفال لبنان قبل الازمة الاقتصادية بحقوقهم وبراءتهم، اما في ظلها فاصبحوا شركاء في تحمل عبئها وتبعاتها من خلال الطلب منهم الاستغناء عن بعض مظاهر الرفاهية اي تفهم الانتقاص من حقوقهم، ما يدفعهم في اللاوعي الى التساؤل عن الذنب الذي ارتكبوه فينتابهم القلق وهنا تكمن المشكلة.

حذرت منظمة الامم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) من التأثير المدمر للازمات المتفاقمة في لبنان على الاطفال، مشيرة الى التدهور المتزايد في معظم جوانب حياتهم. وبحسب التقييم الذي اجرته في تشرين الثاني 2023 تحت عنوان "محاصرون في دوامة الانهيار"، شمل اضافة الى الاطفال اللبنانيين، اللاجئين الفلسطينيين والنازحين السوريين، تحرم الازمات الاطفال في لبنان بشكل متزايد من التعليم وتجبر الكثيرين على التوجه الى العمل، في محاولة يائسة من اهلهم للصمود وسط التحديات الشديدة والتناقص في الموارد والاساسيات، حيث يجوع الاطفال ويعانون قلقا واكتئابا.

وزادت الاعتداءات الاسرائيلية على الجنوب من الاعباء النفسية، لاسيما بين الاطفال الذين هم في مواجهة التصعيد العسكري.

لا شك في ان حقوق الاطفال غير قابلة للمساومة، اذ يجب ان يحصل كل طفل على التعليم، فحرمانه من ذلك يؤثر على كل جوانب حياته، منها الجانب الصحي، الجسدي، العقلي والذهني، حيث يلعب التعليم دورا في نمو الخلايا العصبية، اي تطور الطفل الفيزيولوجي، كما يؤثر على انخراطه في المجتمع بشكل فعال، وكذلك على دوره المستقبلي في تطور بلده.

بعض الاطفال اجبروا على العمل، فيما اتخذ البعض الاخر هذا القرار بعدما عجز اهلهم عن دفع اقساطهم المدرسية، على رغم ان المادة 23 من قانون العمل تحظر "استخدام الاحداث قبل اكمالهم سن السادسة عشرة في الاعمال الخطرة بطبيعتها او التي تشكل خطرا على الحياة او الصحة او الاخلاق بسبب الظروف التي تجري فيها". كما يحظر "تشغيل الاحداث الذين يقل سنهم عن الثامنة عشرة في الاعمال التي تشكل خطرا على صحتهم او سلامتهم او سلوكهم الاخلاقي الواردة في المرسوم رقم 8987 لسنة 2012". وبالتالي، اي عمل يمكن ان يؤثر على البنية الصحية النفسية او الجسدية للطفل هو عمل مخالف للقانون بالدرجة الاولى، عدا عن ان الانخراط في سوق العمل يحرم الطفل من حقه بالرفاهية واللعب، ويحمله مسؤولية تفوق سنه ما يفقده طفولته وحقوقه.

وكشف استطلاع اليونيسيف كذلك، انخفاض الانفاق على العلاج الصحي لدى 8 من كل 10 اسر (اي 81% منها). كما ان الفقر اجبر عددا من اللبنانيين على استجداء استشفاء وطبابة اطفالهم من خلال اللجوء الى مواقع التواصل الاجتماعي والجمعيات، لكي لا يحرموا من حقهم في العيش من دون الم ومعاناة وخطر مفارقة الحياة.

وحذرت اليونيسيف ايضا من التأثير العاطفي للازمات. واشارت الى ان ما نسبته 38 في المئة من الاسر التي شملها الاستطلاع، تحدثت عن معاناة الاطفال من القلق، و24 في المئة وصلوا الى حد الاكتئاب.

ولفت التقرير الى ان الاستطلاع اظهر ان 34 في المئة من الاطفال في لبنان يعتقدون ان حياتهم ستكون اسوأ بعد عام من الان. وحضت اليونيسيف السلطات اللبنانية على "اتخاذ اجراءات حازمة وصارمة لضمان دعم وحماية جميع الاطفال في لبنان، وضمان حصولهم على الخدمات الاساسية".

في موازاة ذلك، يشعر الاطفال بالاحباط، بعدما فقدوا الثقة في الوالدين لعدم قدرتهما على تلبية احتياجاتهم الاساسية، مما يؤدي بدوره الى زيادة التوترات داخل العائلات. واصبحت العلاقات التقليدية بين الطفل ووالديه، مع تزايد ارسال الاطفال الى العمل وبطالة الاهل المتمادية، في خطر. فالعلاقات التقليدية بين الجهتين اصبحت هشة ومعرضة للدمار.

وفي دراسة اخرى بعنوان "الطفولة المحرومة"، سلطت اليونيسيف الضوء على الجانب الانساني للفقر المتزايد الذي يعانيه الاطفال في لبنان بمختلف ابعاده. وخلصت الدراسة الى ثلاث نتائج اساسية:

اولا، تنتهك كل الحقوق الاساسية للاطفال في لبنان كما حددتها اتفاقية الامم المتحدة لحقوق الطفل، اي حقهم في الصحة والرفاه والحماية والتعليم والحق في اللعب، بعبارة اخرى، حقهم الاساسي في ان يكونوا اطفالا. ثانيا، ان الانتهاك المضاعف لهذه الحقوق الاساسية يؤثر الى حد كبير على الصحة النفسية للاطفال، لاسيما في المراحل الاساسية التي يكتمل فيها نموهم. ووجدت الدراسة ان الاطفال يظهرون فهما عميقا للازمة الشديدة والاوضاع المتدهورة في البلد، ويطاردهم القلق الدائم.

وبصرف النظر عن عدد العينات التي انطلقت منها هذه الدراسات لانجاز هذه التقارير، فان هذه الارقام والخلاصات تعكس واقعا تعيشه عائلات انهكتها الازمات المتتالية في لبنان، فيما

الامين العام للمجلس الاعلى للطفولة ريتا كرم.

لم يتم حتى اليوم ايجاد الحلول الناجعة لانتشال المواطن اللبناني من ما يعيشه.

وفي هذا الاطار، يبرز دور المجلس الاعلى للطفولة في وزارة الشؤون الاجتماعية الذي يعمل ضمن المشروع الوطني لحماية الاسرة والطفل. للاطلاع على اوضاع الاطفال في لبنان، اجرت "الامن العام" حوارا مع الامين العام للمجلس ريتا كرم حول التحديات والصعوبات التي تواجه الطفل في لبنان، في ظل الازمات المتتالية التي تعيشها العائلات منذ سنوات.

■ ما هو وضع الطفولة في لبنان؟

□ الوضع صعب جدا، الا ان الامل يبقى موجودا. لا شك في ان هناك اطفالا يتألمون، لكن هذه الالام تدفع البعض منهم الى اللجوء للاختراع والابتكار، اذ ان الصعوبات تساهم في تطوير فكر الانسان من اجل ايجاد الحلول لمشاكله. بسبب هذه الحالة وتحت تأثيرها ينمو بعض الاطفال ويصبحون جاهزين لمواجهة المستقبل وادارة اعمالهم او عائلاتهم نتيجة الصعوبة التي واجهتهم في الصغر. يواجه الاطفال في لبنان معاناة من النواحي الصحية والتربوية والمعيشية والتغذية والحماية ايضا. اذ ان الطفل يتعرض اكثر للتعنيف بسبب

> **سوء التغذية من ابرز المخاطر على حياة الطفل ونموه**

الاوضاع المادية الصعبة التي يعيشها الاهل وعدم قدرتهم على تامين احتياجات اطفالهم الاساسية. الوضع صعب، لكن الامل في ان يتطور الى الافضل.

■ كيف اثرت الازمة الاقتصادية على اطفال لبنان من الناحية التعليمية؟

□ لا شك في ان هناك تسربا مدرسيا من المدارس الخاصة الى المدارس الرسمية، كما ان هناك تسربا مدرسيا من المدارس الرسمية الى سوق العمل. وقد بدأ الاطفال بالعمل في موازاة دراستهم لتأمين حاجاتهم الاساسية. ما يثير الخوف اليوم هو ان يترك هؤلاء الاطفال مدارسهم لاعتقادهم ان لا جدوى من التعلم طالما انهم يجنون اموالا، مستندين على التمويل الذاتي من خلال ما يجنونه عبر الانترنت من خلال ازدياد عدد المتابعين على وسائل التواصل الاجتماعي كالـtik tok مثلا. كما ان الذكور يتجهون الى القرصنة الالكترونية واختراع العاب، مما يدر عليهم ارباحا عبر الانترنت، وهنا التخوف من التسرب المدرسي المبكر. هذا ما سيؤدي بعد فترة الى تدني مستوى الثقافة لدى الاطفال وينعكس في المستقبل على مجتمعنا لجهة الثقافة والتطور.

■ هل هناك من تزايد لعدد حالات العنف في لبنان في ظل ما نعيشه من ازمات؟

□ من الطبيعي ان تزداد حالات العنف نتيجة الوضع الاقتصادي، مثلا اذا طلب طفل من والده امرا ما وليس في استطاعته تلبيته بسبب وضعه المادي، سيشعر الوالد بالذنب ويغضب ومن الممكن ان تكون ردود فعله عنفية. كما تولد الازمة الاقتصادية تفككا اسريا، مما يؤثر ايضا على الاطفال. لوحظ ان الاطفال يتصرفون احيانا بعنف بين بعضهم البعض نتيجة تأثرهم بمشاهد العنف التي يتعرضون لها من خلال الافلام التي يشاهدونها. كل ذلك نتيجة الضغوط العائلية الحياتية، فيتعرض الاطفال للعنف او يمارسون هم بأنفسهم العنف.

■ ما هو تأثير الازمة الاقتصادية وسوء التغذية على الاطفال؟

□ يؤدي سوء التغذية الى تباطؤ النمو لدى الطفل. لا شك في ان المعاناة موجودة، وقد برز التعاضد الاجتماعي في الاونة الاخيرة كمبادرة "براد الحي" التي ترسل وجبات غذائية لبعض الاطفال في المدارس الرسمية. مع الاشارة الى ان برنامج الاغذية العالمي WFP توقف عن توزيع الحصص الغذائية، مما سيخلف تداعيات عدة لانه تم التوقف عن مساعدة عائلات ارتأى البرنامج انها لم تعد في حاجة الى اي مساعدة، مما سيؤثر سلبا ايضا على حياة الاطفال. كما ان هذه المنظمات الدولية لا تملك تصورا او تطلعا للهرم الغذائي حتى يستفيد الاطفال بشكل افضل من هذه المساعدات. ◄

■ كيف تصفين الطفولة اليوم في لبنان؟
□ اطفالنا يناضلون لتأمين مستقبلهم من خلال الابتكار والاختراع. اذ لا يمكن انكار ان بعض الاطفال من خلال المعاناة يبتكرون ويبدعون ولكن المراقبة تبقى ضرورية.

■ ما ابرز المخاطر التي تواجه اطفال لبنان؟
□ يعتبر سوء التغذية من ابرز المخاطر على حياة ونمو الطفل، لأن البقاء والنمو من المبادئ الاساسية لحقوق الطفل. كما انه يجب توفير الادوية للاطفال مهما تكن الظروف وكذلك الاستشفاء. من ناحية التعليم، من الضروري العمل على مناهج جديدة تتلاءم مع التطور العلمي في المجتمع مثلا تعليم الاطفال اساليب القرصنة الالكترونية بطريقة ايجابية وكيفية حماية نفسه ايضا بطريقة ايجابية من دون اظهار الخوف مما يقوم به، لأنه في حال اكتشاف الطفل بنفسه هذه الاساليب من دون مواكبة سيكون معرضا للدخول في متاهات صعبة وخطيرة. في السياق نفسه، يجب التوعية حول الابتزاز الجنسي عبر الانترنت، وهذا ما نعمل عليه بالتنسيق الدائم مع وزارة التربية. خطر الانترنت على الاطفال هو في احتمال دخولهم الى مواقع لا تتناسب واعمارهم، وبالتالي يجب توعية الاهل والمدارس لمواكبة الاطفال، واستخدام مراقبة الوالدين عبر الشركات الخاصة او من خلال اوجيرو، من هنا اهمية التوعية في المدارس. في موضوع الحماية، يجب توعية الاطفال حول حقوقهم التي تكرسها القوانين وعدم تعرضهم للعنف واللجوء الى الجمعيات الاهلية الموجودة في المناطق للمساعدة في ايجاد حلول لمشاكلهم بعيدا من العنف. مع الاشارة الى ان وزارة التربية كانت قد وضعت خطا ساخنا مخصصا لتلقي شكاوى التلامذة 772000/01 وعلى اي طفل يعتبر ان حقوقه منتهكة يمكنه اللجوء الى هذا الرقم ليتلقى المساعدة اللازمة. اما عن سوق العمل، فيجب العمل اكثر مع ارباب العمل لدعم الاطفال واسعافهم، خصوصا انهم اضطروا على العمل بعد عجز اهلهم عن دفع مصاريف دراستهم. ومن الضروري ان يبني ارباب العمل على قدرات هؤلاء الاطفال.

■ هل ازدادت ظاهرة الزواج المبكر في لبنان؟
□ اطلقنا الخطة الوطنية للوقاية والاستجابة من زواج الاطفال وسنعمل عليها، لكن هناك خطرا من الزواج المبكر نتيجة العنف الذي تعيشه الفتاة في منزلها، فتلجأ الى الزواج لاعتقادها انها بذلك تحل مشاكلها.

■ ما هي الخطط المستقبلية للمجلس الاعلى للطفولة؟
□ نعمل على حماية الاطفال من سوء استخدام الانترنت وتنمية الطفولة المبكرة، وعلى توعية الاهل حول كيفية تربية الاولاد، بالتعاون مع ورشة الموارد العربية والشبكة العربية لتنمية الطفولة المبكرة. كما اننا نعمل على شبكة اعلامية صديقة للطفل. ونولي اهتماما بالاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال الاستماع الى مطالب الاهل لتطوير خططنا. اذ انه من مهام المجلس الاعلى الطفولة وضع الخطط والسياسات حول هذه القضايا التي تصيب المجتمع.